جمع وترتيب؛ أبوإسحاق

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شـرور أنفسـنا وسـيّئات أعمالنـا مـن يهده الله فلا مضّل له، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلاّ اللـه وحـده لاشـريك لـه ، وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله.

أمّا بعد:

يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون ، يا أيّها النّـاس اتّقـوا ربكـم

الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالا كثيرا ونساءا واتّقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إنّ الله كان عليكم رقيبا ، يـا أيّهـا الـذين آمنـوا اتّقـوا اللـه وقولـوا قـولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما

أمّا بعد :

فإنّ أحسن الكلام كلام الله وخيـر الهـدي هـدي محمّـد صـلى اللـه عليـه وسـلم وشـرّ الأمـور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النّار.

الحكم بغير ما أنزل الله

إنّ الحكـم بغيـر مـا أنـزل اللـه بليّـة عظيمـة أصـيبت بهـا الأمّـة الإسـلاميّة فـي هـذه العصـور المتأخرة .حادت عن شرع ربها وسنّة نبيهـا صـلى اللـه عليـه وسـلم فأذلهـا اللـه .إنتهـت عـن أوامره فلم تأتها وارتكبت نواهيه فلم تنته عنها فشتّت الله شملها وجعل مصيبتها في دينها.

ليس السبيل سوى سبيل محمّـد فهي الصّراط المستقيم لمن سـلك
من يمشي في طرقاته فقد اهتدى سبل السّلام ومن يزغ عنـها هلك

يقول ابن أبي العزّ الحنفي شارح العقيدة الطّحاوية : (وهنـا أمـر يجـب أن يتفطّـن لـه وهـوأنّ الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرا ينقل عن الملّة وذلك بحسب الحاكم ،فإنّه إن اعتقد أنّ الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنّه مخيّر فيه أواستهان به مع تيقنه أنّـه حكـم اللـه فهـذا كفـر أكبر) [شرح العقيدة الطّحاوية صلى الله عليه وسلم ص 363-364].

قال ابن القيّم عليه رحمة الله : (والصّحيح أنّ الحكم بغير ما أنزل الله يتنـاول الكفـر الأصـغر والأكبر بحسب حال الحاكم فإنّه إن اعتقد وجوب الحكم بغير ما أنـزل اللـه فـي هـذه الواقعـة وعدل عنه عصيانا - مع إعترافه بأنّه مستحق للعقوبة - فهذا كفـر أصـغر وإن اعتقـد أنّـه مخيّـر فيه –مع تيقنه أنّه حكم الله - فهذا كفر أكبر وإن جهله أوأخطأ فهذا مخطئ له حكم المخطئيـن) اهـ [مدارج السّالكين صلى الله عليه وسلم 1/337].

يقول الحافظ ابن كثير عند تفسير قوله تعالى { أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسـن مـن اللـه حكما لقوم يوقنون } [المائدة : 50] : (ينكر تعـالى علـى مـن خـرج عـن حكـم اللـه المحكـم المشـتمل علـى كـل خيـر ،النّـاهي عـن كـلّ شـرّ وعـدل إلـى مـا سـواه مـن الآراء والأهـواء والإصطلاحات التي وضعها الرّجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهـل الجاهليـة يحكمـون به من الضلالات والجهالات ،ممّا يعضدونها بآرائهم وأهـوائهم وكمـا يحكـم بـه صـلى اللـه عليـه وسلم التتار من السّياسات المأخوذة عن ملكهم جنكزخان الـذي وضـع لهـم صـلى اللـه عليـه وسلم الياسق) وهوعبارة عن كتـاب مجمـوع مـن أحكـام قـد اقتبسـها مـن شـرائع شـتّى مـن اليهودية والنّصرانية والملّة الإسلامية وغيرها وفيها كثير مـن الأحكـام أخـذها مـن مجـرد نظـره وهواه فصارت في بنيه شرعا متبعا يقدّمونه على الحكم بكتاب الله وسنّة رسـوله صـلى اللـه عليه وسلم فمن فعل ذلك منهم فهوكافر يجب قتاله حتّى يرجـع إلـى حكـم اللـه ورسـوله فلا يحكم سواه في قليل أوكثير) [تفسير ابن كثير :صلى الله عليه وسلم 2/67].

ويقول أحمد شاكر رحمه الله معلّقا على هذا الكلام : (أقول: أفيجوز مع هذا في شرع الله أن يحكم المسلمون في بلادهم بتشريع مقتبس عن تشريعات أوربا الوثنية الملحدة ؟ بـل تشـريع يدخله الأهواء والآراء الباطلة ،يغيّرونه ويبدّلونه كما يشـاءون ، لا يبـالي واضـعه،أوافـق شـرعة الإسلام أم خالفها ؟. إنّ المسلمين لم يبالوا بهذا قط فيما نعلم من تاريخهم إلاّ في ذلك العهـد

عهد التتار ، وكان من أسوأ عهود الظلم والظلام ومع هذا فإنّهم لم يخضعوا له بل غلب الإسلام التتار ثمّ مزجهم فأدخلهم في شرعته وزال أثر ما صنعوا بثبات المسلمين على دينهم وشريعتهم وبما أنّ هذا الحكم السّيئ الجائر كان مصدره الفريق الحاكم إذ ذاك لم يندمج فيه أحد من أفراد الأمم الإسلامية المحكومة ،ولم يتعلموه ولم يعلموه أبنائهم فما أسرع ما زال أثره) .

ثمّ قال عليه رحمة الله : (ثمّ كان المسلمون الآن أسوأ حالا وأشدّ ظلما وظلاما منهم لأنّ أكثر الأمم الإسلامبة الآن تكاد تندمج في هذه القوانين المخالفة للشريعة والتي هي أشبه بذلك صلى الله عليه وسلم الياسق الذي اصطنعه رجل كافر ظاهر الكفر هذه القوانين التي يصنعها ناس ينتسبون للإسلام ،ثمّ يتعلمها أبناء الإسلام ويفخرون بذلك أباء وأبناء ثمّ يجعلون مرد أمرهم إلى معتنقي هذا الياسق العصري ويحقرون من يخالفهم في ذلك ويسمون من يدعوهم إلى الإستمساك بدينهم وشريعتهم صلى الله عليه وسلم رجعيا جامدا إلى مثل ذلك من الألفاظ البذيئة ... أفيجوز إذا- مع هذا - لأحد من المسلمين أن يعتنق هذا الدّين الجديد أعني التشريع الجديد ؟. إنّ الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشّمس هي كفر بواح لا خفاء فيه ولا مداورة ولا عذر لأحد ممن ينتسب للإسلام - كائنا من كان – في العمل بها أوالخضوع لها أوإقرارها فليحذر امرؤ لنفسه وكل امرئ حسيب نفسه) [عمدة التّفسير في اختيار وتحقيق أحمد شاكر طباعة دار المعارف سنّة 1377 -1957 م صلى الله عليه وسلم ج ع ص 171- 172] .

قال الشّيخ محمّد ابن إبراهيم مفتي الدّيار السّعودية سابقا عليه رحمة الله : (إنّ من الكفر الأكبر المستبين تنزيل القانون اللّعين ،منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب رسوله ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين في الحكم به بين العالمين ، والردّ إليه عند تنازع المتنازعين) [تحكيم القوانين ص 5].

قال نعيم ياسين في كتاب الإيمان : (وإنّما دخل الكفر على معظم الكافرين بسبب إنكارهم إستحقاق الباري بأن يفرد توجيه العبادة إليه سواءا كان هذا الإنكار بالقلب وهوالإعتقاد أوبما يدلّ عليه من القول والفعل وسبب إقرارهم باستحقاق غيره لهذا الأمر سواءا أكان هذا الإقرار تصديقا واعتقادا ، أوكان قولا أوفعلا يدل عليه) [كتاب الإيمان ص 176]

وقال أيضا : (ويكفر من ادّعى أنّ له الحق في تشريع ما لم يأذن به الله بسب ما أوتي من السّلطان والحكم فيدعي أنّه له الحق في تحليل الحرام وتحريم الحلال .ومن ذلك وضع القوانين والأحكام التي تبيح الزنى والربا وكشف العورات أوتغيير ما جعل الله لها من العقوبات المحدّدة في كتاب الله أوفي سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتغيير المقادير الشّرعية في الزّكاة والمواريث والكفارات والعبادات وغيرها ممّا قدّره الشّارع في الكتاب والسنّة ؟) [كتاب الإيمان ص 178]

ومن هنا تعلم أنّه إذا قام حاكم ينتحل الحق في إصدار تشريعات مناقضة لما هوثابت في الكتاب أوالسنّة ،يحلّل به ما حرّم الله أويحرّم ما أحلّه سبحانه كفر وارتد عن دين الله القويم ،لأنّه يعتقد بذلك أنّه يسعه الخروج عن شريعة الإسلام بما يشرع للنّاس ومن اعتقد ذلك كان من الكافرين [نواقض لإسلام للشّيخ محمّد ابن عبد الوهّاب- الجامع الفريد ص 278].

قال الشّيخ الشنقيطي عليه رحمة الله : (إنّ الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشّيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعة الله عزّ وجلّ على ألسنة رسله صلى الله عليهم وسلم أنّه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثلهم) [أضواء البيان : 4/83].

ثمّ قال رحمه الله في تفسير سورة الشّورى [7\162] : (الحلال هوما أحلّه الله والحرام

هوما حرمه الله والدّين هوما شرّعه الله ،فكلّ تشريع من غيره سبحانه باطل والعمل بتشـريع بدل تشريع الله عند من يعتقد أنّه مثله أوخير منه كفر بواح لا نزاع فيه ، وقـد دلّ القـرآن فـي آيات كثيرة على أنّه لا حكم لغير الله وأنّ اتباع تشريع غيره كفر به) إهـ .

وقال رحمه الله صلى الله عليه وسلم [293] : (وكلّ تحاكم إلى غير شرع الله فهوتحاكم إلى الطّاغوت وذلك في قوله تعالى { ألم تر إلى الذين يزعمون أنّهم آمنوا بمـا أنـزل إليـك ومـا أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطّاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشّـيطان أن يضلّهم ضلالا بعيدا } [النّساء 63] فالكفر بالطّاغوت الذي صرّح الله بـأنّه أمرهـم بـه فـي هـذه الآية شرط في الإيمان في قوله تعالى { فمن يكفـر بالطّـاغوت ويـؤمن بـالله فقـد استمسـك بالعروة الوثقى } [البقرة 256] يفهم منـه مـن لـم يكفـر بالطّـاغوت ، لـم يستمسـك بـالعروة الوثقى ومن لم يستمسك بها فهومرتد مع الهالكين) إهـ.

ثمّ قال رحمه الله [7\169] : (إنّ غيـر اللـه لا يتصـف بصـفات التّحليـل والتّحريـم ولمّـا كـان التّشريع وجميع الأحكام ،شرعية أوكونية قدرية من خصائص الربوبية كان كل من اتبـع تشـريعا غير تشريع الله ؛قد اتخذ ذلك المشرّع ربا وأشركه مع الله) إهـ.

فيا عباد الياسق العصري :

" أتريدوننا أن نرضى بمن بدّل دين الله ونصّب نفسه مشرعا ومقننـا يسوسـكم بمـا شـاء مـن زبالات الأذهان ويخضعكم لما يهوى وتطيب له نفسه في كلّ زمـان ونقـرّه علـى حكمـه الـذي خالف حكم الواحد الدّيان ... فـأيّ كفـر أعظـم مـن هـذا الـذي تـرك شـريعة الرّحمـان وجعـل الدّستور والميثاق نـدا للحـديث والقـرآن بـدّل أحكـام اللـه فـي السّـارق والزّانـي وغيرهـا مـن الأحكام أباح شرب الخمر والربا واعتناق غير الإسلام ... أفتطيب أنفسكم أن تحاجوا عن هؤلاء الطّواغيت وتنصروهم بالأقوال والأقلام وتدافع عن ملكهم وتزعمون أنهم على الإسلام .

إنّ موالاة الحاكم بغير ما أنزل الله وإقرار تشريعه للنّاس من عند نفسه – الدّستور - مناقضـة للشّهادة بأنّ الله هوالإله الذي تؤلّـهه القلـوب بـالحبّ والتعظيـم والإنقيـاد والطّاعـة ومناقضـة للشّهادة بأنّ محمّدا رسول الله فهوالمطاع فيما أمر ونهى عنه وزجر، ولوفهم النّاس هـذا لمـا بقي لطاغية في الأرض حق الوجود والتّشريع " [نقلا عن الولاء والبراء للقحطاني] .

شبهة كفر دون كفر والرد عليها

كثيرا ممّن يدّعي السّلفية هذه الأيام وهم لا يعرفون منها غير الإسم ينعقون فـي هـذه القضـية ويحتجون بقول ابن عباس - رضي الله عنهما – فيجيزون الحكم بغيـر مـا أنـزل اللـه ويقـرّون بالإمامة لمن جعل نفسه مشرّعا من دون الله ويحكمون على من خالفهم بالخارجيـة والتّكفيـر ... فلننظر أيّها السّلفيون في كلام السّلف وفهمهم لهذه النّصوص وما قـالوه فـي تفسـيرهم

لقوله تعالى : { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } [سورة المائدة الآية] ليتضح الخفي ويتجلى الغامض وتُفهم النّصوص كما ينبغي أن تفهم .

قال الأستاذ أحمد شاكر رحمه الله [عمدة التّفاسير صلى الله عليه وسلم 4/156] عند قوله تعالى : { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } : (اللّهم إنّي أبرأ إليك من الضلالة، وبعد فإنّ أهل الرّيب والفتن ممّن تصدّوا للكلام في زماننا هذا قد تلمّس المعذرة لأهل السّلطان في ترك الحكم بما أنزل الله وفي القضاء في الدّماء والأعراض والأموال بغير شريعة الله التي أنزل في كتابه وفي اتّخاذهم قانون أهل الكفر شريعة في بلاد الإسلام فلمّا وقف على هذين الخبرين - قول ابن عبّاس رضي الله عنهما : " كفر دون كفر " وأثر أبي مجلز- اتّخذهما رأيا يرى به صواب القضاء في الأموال والأعراض والدّماء بغير ما أنزل الله وأنّ مخالفة شريعة الله في القضاء العام لا تكفّر الرّاضي بها والعامل عليها ، والنّاظر في هذين الخبرين لا محيص له من معرفة السّائل والمسؤول فأبو مجلز لاحق ابن حميد السدوسي - تابعي ثقة - وكان يحبّ عليا رضي الله عنه ، وكان قوم أبي مجلز ، وهم بنو شيبان ، من شيعة علي يوم الجمل وصفّين فلمّا كان أمر الحكمين يوم صفّين واعتزلت الخوارج كان فيمن خرج على علي رضي الله عنه طائفة من بني شيبان ومن بني سدوس بنو شيبان وهم نفر من الإباضية.

والإباضية من جماعة الخوارج الحرورية ، هم أصحاب عبد الله ابن إباض التميمي ، وهم يقولون بمقالة سائر الخوارج في التّحكيم وفي تكفير علي رضي الله عنه إذ حكّم الحكمين وأنّ عليا لم يحكم بما أنزل الله في أمر التّحكيم .

ثمّ إنّ عبد الله ابن إباض قال : إنّ من خالف الخوارج كافر ليس بمشرك فخالف أصحابه وأقام الخوارج على أنّ أحكام المشركين تجري على من خالفهم ، ثمّ افترقت الإباضية بعد عبد الله ابن إباض الإمام إفتراقا لا ندري معه - في أمر هذين الخبرين – من أيّ الفريقين كان هؤلاء السائلون ، بيد أنّ الإباضية كلّها تقول إنّ دور مخالفهم دور توحيد إلاّ معسكر السّلطان

فإنّه دار كفر عندهم ، ثمّ قالوا أيضا : " إنّ جميع ما افترض الله سبحانه على خلقه إيمـان وإنّ كلّ كبيرة فهي كفر نعمة لا كفر شرك وإنّ مرتكبي الكبائر في النّار خالدون مخلدّون فيها .

ومن البيّن : أنّ الذين سألوا أبا مجلز من الإباضـية إنّمـا كـانوا يريـدون أن يلزمـوه الحجّـة فـي تكفير الأمراء لأنّهم في معسكر السّلطان ولأنّهم ربّما عصوا ، أوارتكبـوا بعـض مـا نهـاهم اللـه عن ارتكابه ولذلك قال لهم في الخبر الأوّل : " فإن هم تركوا شيئا منه عرفوا أنّهم قـد أصـابوا ذنبا " وقال لهم في الخبر الثاني :" إنّهم يعملون ما يعملون ويعلمون أنّه ذنب " .

وإذا لم يكن سؤالهم عمّا احتجّ به مبتدعة زماننا مـن القضـاء فـي الأمـوال والأعـراض والـدّماء بقانون مخالف لشريعة أهل الإسلام ولا في إصدار قانون ملزم لأهل الإسلام ، وبالإحتكام إلـى حكم غير حكم الله في كتابه ولا على لسان نبيه صلى الله عليـه وسـلم فهـذا الفعـل إعـراض عن حكم الله ورغبة عن دينه وإيثار لأحكام أهل الكفر على حكم اللـه سـبحانه وتعـالى وهـذا كفر لا يشكّ أحد من أهل القبلة على اختلافهم في تكفير القائل به والدّاعي إليه.

والذي نحن فيه اليوم هجر لأحكام الله عامة بلا استثناء وإيثار أحكام غير حكمه في كتابه وسنّة نبيه صلى الله عليه وسلم وتعطيل لكل ما في شريعة الله ،بل بلغ الأمر مبلـغ الإحتجـاج علـى تفضيل أحكام القانون الموضوع على أحكام الله المنزلة وادّعـاء المحتجيـن لـذلك بـأنّ أحكـام الشّـريعة إنّمـا أنزلـت لزمـان غيـر زماننـا ولعلـل وأسـباب انقضـت ، فسـقطت الأحكـام كلّهـا بانقضائها ، فأين هذا ممّا بيّناه من حديث أبي مجلز والنّفـر مـن الإباضـية مـن بنـي عمـروا بـن سدوس ؟!!

ولوكان الأمر على ما ظنوا من خبر أبي مجلز - أنّهم أرادوا مخالفـة السّـلطان فـي حكـم مـن أحكام الشّريعة – فإنّه لم يحدث في تاريخ الإسلام أن سنّ حاكم حكما وجعلـه شـريعة ملزمـة للقضاء بها هذه واحدة .

وأخرى : أنّ الحاكم الذي حكم في قضيّة بعينها بغير حكم الله فيها ، فإنّه : إمّا أن يكون حكـم بها وهو جاهل فهذا أمره أمر الجاهل بالشّريعة ، وإمّا أن يكون حكـم بهـا هـوى ومعصـية فهـذا تناله التّوبة وتلحقه المغفرة ، وإمّا أن يكون حكم به متأولا حكما خالف به سـائر العلمـاء فهـذا

حكمه حكم كلّ متأوّل يستمد تأويله من الإقرار بنصّ الكتاب وسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأمّا أن يكون كان في زمن أبي مجلز أوقبله أوبعده حاكم حكم بقضاء في أمر جاحدا لحكم من أحكام الشّريعة أومؤثرا لأحكام أهل الكفر على أحكام أهل الإسلام فذلك لم يكن قط فلا يمكن صرف كلام أبي مجلز والإباضيين إليه ، فمن احتجّ بهذين الأثرين وغيرهما في غير بابها وصرفهما لغير معناهما رغبة في نصرة سلطان أو احتيالا على تسويغ حكم بغير ما أنزل الله وفرضه على عباده فحكمه في الشّريعة حكم الجاحد لحكم من أحكام الله : أن يستتاب فإن أصرّ أوكابر أوجحد حكم الله ورضي بتبديل الأحكام ، فحكم الكافر المصر على كفره معروف لأهل الدّين ، وكتبه محمود محمّد شاكر) إهـ.

قال محمّد بن إبراهيم مفتي الدّيار السّعودية شارحا لهذه الآية وموضحا قول ابن عباس رضي الله عنهما : (فانظر كيف سجّل على الحاكمين بغير ما أنزل الله الكفر والظلم و الفسق ، من الممتنع أن يسمي الله تعالى سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافرا ولا يكون كافرا ، بل هو كافر مطلقا ، إمّا كفر عمل ، وإمّا كفر اعتقاد وما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية من رواية طاووس وغيره يدّل على أنّ الحاكم بغير ما أنزل الله كافر إمّا اعتقاد ناقل عن الملّة ، وإمّا كفر عمل لا ينقل عن الملّة .

أمّا الأوّل - وهوكفر الإعتقاد - فهوأنواع :

أحدها: أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسوله وهومعنى ما روى ابن عباس رضي الله عنهما ، واختاره ابن جرير أنّ ذلك هوجحود ما أنزل الله من الحكم الشّرعي وهذا ما لا نزاع فيه بين أهل العلم فإنّ الأصول المتقرّرة المتفق عليها بينهم أنّ من جحد أصلا من أصول الدّين أوفرعا مجمعا عليه أوأنكر حرفا ممّا جاء به الرّسول صلى الله عليه وسلم

قطعيا فهوكافر الكفر النّاقل عن الملّة.

الثاني: ألا يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله كون حكم الله ورسوله حقا لكن اعتقد أن حكم غير الرّسول صلى الله عليه وسلم أحسن من حكمه وأتم وأشمل لما يحتاجه النّاس من الحكم بينهم عند التنازع إمّا مطلقا أوبالنسبة إلى ما استجدّ من الحوادث التي نشأت عن تطور الزمان وتغير الأحوال ، وهذا لا ريب أنّه كافر لتفضيله أحكام المخلوقين التي هي محض زبالة الأذهان وصِرف حثالة الأفكار على حكم الحكيم الحميد.

الثالث: أن لا يعتقد كونه أحسن من حكم الله ورسوله لكن اعتقد أنّه مثله ، فهذا كالنّوعين الذين قبله في كونه كافرا الكفر النّاقل من الملّة لما يقتضيه ذلك من تسوية المخلوق بالخالق والمناقضة والمعاندة لقوله عزّ وجلّ : { ليس كمثله شيء } [الشورى 11]

الرّابع: أن لا يعتقد كون حكم الحاكم بغير ما أنزل الله مماثلا لحكم الله ورسوله فضلا عن أن يعتقد كونه أحسن منه ، لكن اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله فهذا كالذي قبله يصدق عليه ما يصدق عليه لإعتقاده جواز ما علم بالنّصوص الصّحيحة الصّريحة القاطعة تحريمه.

الخامس: وهوأعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشّرع ومكابرة لأحكامه ومشاقة لله ورسوله، ومضاهاة بالمحاكم الشّرعيّة إعدادا وإمدادا وإرصادا وتأصيلا وتفريعا وتشكيلا وتنويعا وحكما وإلزاما ومراجع ومستندات فكما أنّ للمحاكم الشّرعية مراجع مستمدات مرجعها كلّها إلى كتاب الله وسنّة رسول الله فلهذه المحاكم مراجع هي القانون الملفق من شرائع شتّى وقوانين كثيرة كالقانون الفرنسي والقانون الأمريكي والقانون البريطاني وغيرها من القوانين ومن مذاهب بعض البدعيين المنتسبين إلى الشّريعة ونحوذلك ، فهذه المحاكم الآن في كثير من أمصار الإسلام مهيئة مكملة مفتوحة الأبواب والنّاس إليها أسراب إثر أسراب

يحكم حكامها بينهم بما يخالف حكم السنّة والكتاب، من أحكام ذلك القانون وتلزمهم به وتقرّهم عليه وتحتّمه عليهم ، فأيّ كفر فوق هذا الكفر وأيّ مناقضة للشّهادة بأنّ محمّدا رسول الله بعد هذه المناقضة ؟!

السّادس: ما يحكم به كثير من رؤساء القبائل والعشائر من البوادي ونحوهم من حكايات آبائهم وأجدادهم وعاداتهم التي يسمونها "سلومهم " يتوارثون ذلك منهم ويحكمون به ويحرصون على التحاكم إليه عند النّزاع إبقاءا على أحكام الجاهلية وإعراضا ورغبة عن حكم الله ورسوله فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله .

وأمّا القسم الثاني من قسمي كفر الحاكم بغير ما أنزل الله ، وهوالذي لا يخرج من الملّة وذلك أن تحمله شهوته وهواه على الحكم في قضية بغير ما أنزل الله مع اعتقاده أنّ حكم الله ورسوله هوالحق واعترافه على نفسه بالخطأ ومجانبة الهوى ، وهذا وإن لم يخرجه كفره عن الملّة فإنّ معصيته عظمى أكبر من الكبائر كالزّنى وشرب الخمر والسّرقة واليمين الغموس وغيرها ، فإنّ معصيته سمّاه الله في كتابه كفرا أعظم من معصيته لم يسمها كفرا) [تحكيم القوانين صلى الله عليه وسلم ص:1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حول معنى قوله تعالى { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } : (ولا ريب أنّ من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهوكافر فإنّه ما من أمّة إلاّ وهي تأمر بالحكم بالعدل وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم ، بل كثير من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله كسواليف - سواليف : تقاليد - البادية ويرون أنّ هذا هوالذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنّة وهذا هوالكفر فإنّ كثيرا من النّاس أسلموا ولكن لا يحكمون إلاّ بالعادات الجارية التي يأمر بها المطاعون فهؤلاء إذا عرفوا أنّه لا يجوز لهم الحكم إلاّ بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك بل استحلّوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفّار) [كتاب الإيمان لمحمّد نعيم ياسين صصلى

الله عليه وسلم 202، وأصل ذلك في منهاج السنّة النّبيوية ومجموعة التّوحيد 193].

يقول عبد الرّحمان عبد الخالق : (هل يُعدّ كافرا كل من حكم في قضية ما بحكم غير حكم الله تبارك وتعالى ؟ والجواب على ذلك أنّ هناك صورا ثلاثا لهذا الأمر :

الأوّل: أن يحكم بغير ما أنزل الله معتقدا أن ما حكم به هوالأفضل وهذا كفر بإجماع المسلمين ولا مخالف لذلك.
الثاني: أن يحكم بغير ما أنزل الله معتقدا أنّ ما حكم به متساومع حكم الله وأنّ هذا مثل هذا وهذا أيضا كفر بالإجماع لأنّه يساوي الله بخلقه كما قال تعالى { ثمّ الذين كفروا بربّهم يعدلون }.
الثالث: أن يعتقد أنّ حكم الله هوالخير وهوالحق وكلّ حكم يخالفه مرجوع باطل ولكنّه يحكم به بدافع من شهوة أورشوة أومنصب أوغير ذلك، وهذا الذي قال فيه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما " كفر دون كفر " أي كفره لا يخرجه من ملّة الإسلام ومن جماعة المسلمين.

وبهذا يكون الحكم واضحا في شأن الذين يجعلون شريعة الله على قدم المساواة مع شريعة أنفسهم أومن يتبعونهم من الكفّار وفي شأن الذين يصفون حكم الله بالرّجعية والجمود والتّخلف عن مسايرة الزّمان. إهـ [الحد الفاصل بين الإيمان والكفر صلى الله عليه وسلم ص 46/47].

وقال أيضا [ص:41] عند قوله تعالى { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } : (وكان هذا تعقيبا على اليهود الذين أرادوا إبطال حكم الرّجم الثابت في توراتهم وذلك بسؤال الرّسول صلى الله عليه وسلم عن هذا الحكم لعلّه يفتي بخلافه أوبحكم أخف من الرّجم ... وها أنت ترى أنّ الله قد ختم الآية وإن كانت في شأن اليهود،بحكم عام يشمل كلّ أمّة لها رسالة وتشريع { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } فـ " من " من صيغ

العموم وهي تعمّ كل من اتّصف بهذه الصفة.

فانظروا حال هؤلاء الذين يزعمون أنّهم مسلمون أليسوا بدّلوا المحاكم الشّرعيّة بمحاكم وقوانين وضعية تحكم بين البشر بأحكام البشر وأعرضوا عن شريعة الله المنزهة من كلّ نقص وضرر يحكمون بخلاف ما أمروا بدعوى التّطور ومواكبة العصر ، فأيّ إسلام لهؤلاء وأيّ دين لمن رفض شريعة رب السّماء والله تعالى يقول : { إن الحكم إلاّ لله } [سورة يوسف] وهوالقائل جلّ وعلا { ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يُقبل منه } [آل عمران 85]

وقد وُجّه سؤال لفضيلة الشّيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله هذا نصّه : " هل يعتبر الحكّام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله كفارا ؟ وإذا قلنا إنّهم مسلمون فماذا نقول عن قوله تعالى { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } ؟

الجواب : (الحكم بغير ما أنزل الله أقسام تختلف أحكامهم بحسب اعتقادهم وأعمالهم ، فمن حكم بغير ما أنزل الله يرى ذلك أحسن من شرع الله فهوكافر عند جميع المسلمين ، وهكذا من يُحكّم القوانين الوضعية بدلا من شرع الله ويرى أنّ ذلك جائز ولوقال إنّ تحكيم الشّريعة أفضل فهو كافر لكونه استحلّ ما حرم الله ...) [فتاوى في العقيدة فتوى مهمّة لعموم الأمّة / ص :142- 143 ، جمع وإعداد إبراهيم اين عثمان الفارس]

فلا دليل إذن على ما ذهبوا إليه من عدم كفر الحكّام ... وأن عدم تحكيمهم لشرع الله كفر لا ينقلهم عن الملّة ، ولا حجّة في هذه الأقوال على ما قالوه.

قال صاحب كتاب " فضل الغني الحميد " : (... وقد يكون في ثبوت الشّروط وانتفاء الموانع اجتهاد واختلاف بين أهل العلم ينبغي أن يكون من الخلاف السائغ، أمّا الحكم العام من جهة النّوع فلا ينبغي الإختلاف فيه أبدا لوضوح الحق بأدلته وإجماع أهل العلم عليه كما سبق بيانه من نقل الإمام ابن كثير عليه رحمة الله) [ص 171] .

اللّهم إنّا نشهدك أنّا برؤاؤ من هؤلاء ، كفرنا بهم حتّى يتحاكموا إلى شرعك ويحكّموه في كلّ صغير وكبير ، في كلّ سهل وعسير ، واللـه الموفّق والمستعان وعليه الإعتماد والتّكلان ، فهونعم المولى ونعم النّصير.

حقيقة إظهار الدّين

وأمّا هؤلاء الذين تركوا الجهاد وعطّلوا فريضة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ، فالله درّ ابن القيّم عليه رحمة الله حيث قال : (وقد غرّ إبليس أكثر الخلق بأن حسّن لهم القيام بنوع من الذكر والصّلاة والصّيام والزّهد في الدّنيا والإنقطاع وعطّلوا هذه العبوديات - الجهاد والدّعوة والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر - فلم يحدثوا قلوبهم بالقيام بها ، وهؤلاء عند ورثة الأنبياء من أقلّ النّاس دينا فإنّ الدّين هوالقيام لله بما أمر به فتارك تجب عليه أسوء حالا عند الله ورسوله من مرتكبي المعاصي... وأي دين وأي خير فيمن يرى محارم الله تنتهك وحدوده تضاع ودينه يترك وسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب عنها وهوبارد القلب ساكت اللسان ...) [إعلام الموقّعين صلى الله عليه وسلم ج م ص 177].

ثم إن هؤلاء لم يكتفوا بالسكوت عن الحق ، بل صرحوا بعداوة أهله وأظهروا الطاعة والمتابعة للمرتدين ، فكيف لمسلم يفهم قضيه الولاء والبراء أن يرضى باتباع الكفار والمنافقين مع تصريحهم في أحزابهم وهيئاتهم بأنها لا تقوم على أساس الدين .

أفيرضى مسلم غيور على إسلامه أن يقف تحت هذه الراية ؟!

أفيقبل تحت أي ظرف من الظروف ولأي مصلحة يظنها أن يقول لأمثال هؤلاء " أنا منكم

وأنتم مني " ، بدلا من " إني بريء مما تعملون " ويتوكل على العزيز الرحيم كما أمر الله تعالى [فضل الغنيّ الحميد صلى الله عليه وسلم 128].

فنقول لهؤلاء الغافلين:

إذا كنتم تظنون أن الدين ليس إلا لبس القميص وإعفاء اللحية والصلاة في المساجد وسماع الأشرطة واقتناء الكتب فأنتم واهمون ، ولا شك أنكم كذلك تعتقدون ، لأنكم تقولون إن هذا الحاكم قد سمح لكم بأن تفعلوا ما تريدون ، وتزعمون أنكم لدينكم مظهرون ,

فانظروا إلى ما قاله حمد بن عتيق : (وإظهار الدين تكفيرهم وعيب دينهم والطعن عليهم والبراءة منهم والتحفظ من مودتهم والركون إليهم وليس فعل الصلوات فقط إظهار الدين) [الدرر السّنية جزء الجهاد ص 196].

ويقول الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن في الكتاب نفسه : (ودعوى من أعمى الله بصيرته وزعم أن إظهار الدين هو عدم منعهم من أن يتعبد أويدرس دعوى باطلة فزعمه مردود عقلا وشرعا وليقل من كان في بلاد النصارى والمجوس ذلك الحكم الباطل لأن الصلاة والآذان والتدريس موجود في بلدانهم) [نفس المصدر صلى الله عليه وسلم ص 141].

يظنّون أنّ الدّين لبّيك في الفلا وفعل الصّلاة والسّكوت عن الملا
وسالم وخالط من لذا الدين قد قلا وما الدين إلا الحب والبغض والولا
وكذا البرا من كل غاوآثم

يقول محمد بن عبد الوهاب : (فالله الله إخواني تمسكوا بأصل دينكم أوله وآخره أساسه ورأسه وهو شهادة أن " لا إله إلا الله " واعرفوا معناها وأحبوا أهلها واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين واكفروا بالطواغيت وعادوهم وابغضوا من أحبهم أوجادل عنهم أولم يكفرهم ،

أوقال ما علي منهم ، أوقال ما كلفني الله بهم ، والبراءة منهم ولوكانوا إخوانه وأولاده ، فـالله اللـه تمسـكوا بأصـل دينكـم لعلكـم تلقـون ربكـم لا تشـركون بـه شـيئا) [مجموعـة الفتـاوى والرّسائل والأجوبة 50 رسالة في التّوحيد لمحمّد ابن عبد الوهاب رحمه الله ص 133، تقديم عبد حجّاج] .

فالظالمون ما رضوا دين النبي صلى الله علبه وسلم ولا طابت أنفسهم ولا قـرت أعينهـم بـل ثارت ثائرتهم وقامت قيامتهم ، فكم ساوموه ولكنه بقي ثابتا وسبيله يقول { قل للذين كفـروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد } [آل عمران الآية].

فاعلم أخي أنّ الحقّ واحد وهـو أبلـج وعليـه نـور ، وأنّ الباطـل كـثير متشـعب وعليـه ظلمـة ، فاعرف الحق تعرف أهله ، واعرف الباطل تعرف من أتاه ، وخذ الحق من كل مـن أتـاك بـه ، ورد الباطل على صاحبه كائنا من كـان ، ولا تلتفـت لكـل نـاعق ء ادى الحـق وء انق الباطـل ، وعليك بالعلم فإنّ الله ينقذ بنور العلم من ظلمات الجهالة ويهدي بالإستبصـار بـه عـن الوقـوع في عماية الضلالة ، وهوسبحانه قد نصب لنا من شريعة محمّد صـلى اللـه عليـه وسـلم أعلـى علم وأوضح دلالة ، وكان ذلك أفضل ما منّ الله به من النّعم الجزيلة والمنح الجليلة وأناله.

ولله ما أحسن قول الشّاعر وأنسبه لمثل هذا إذ يقول:

الصّمت أفضل من كلام مداهن نجس السّريرة طيب الكلمـات
عرف الحقيقة ثم عاد إلى الـذي يرضي ويعجب كل طاغ عات
لا تعجبوا يا قوم ممّن أخصبـوا في هـذه الأيــام بالكلمـات
علوا المنابر والصّحائف سودوا وتقدّمـوا في سائـر الحفلات
والله ما قالوا الحقيقة والهـدى كلا ولا كشفوا عن الهلكـات
فلن يسير إلى الحقيقـة راغـب في وصل أهل الظلم والشّهوات

عيشوا لديـن الله لا لحضـارة محفوفـة بالرّيـب والشّبهـات

فالحقّ ظاهر لا محالة وتبدو حينها أنوار الشّـرع وتسـتطلع شـموس العـدل وتهـب ريـاح الـدّين وستعلن كلمة الله في عبـاده وترتفـع أوامـره ونـواهيه وتقـوم دواعـي الحـق وتسـقط دواعـي الباطل وتكون كلمة الله هي العليا ودينه هو المرجوع إليه المعوّل عليـه وكتـابه الكريـم وسـنّة رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم هما المعيار الذي توزن به أعمال العباد ويرجـع إليهمـا في دقيق الأمور وجليلها وبذلك تنجلي ظلمات البدع وتنقصم ظهور أهل الظلم وتنكسر نفوس أهل معاصي الله في الأرض ويضمحل جولان الباطل وتخفق رايات الشّرع في جميـع بلاد اللـه عزّ وجل [رفع الريبة عما يجوز وما لا يجوز من الغيبة للشوكاني صلى الله عليه وسـلم ص 53 بتصرّف]

جهاد المرتدين

عن عبادة ابن الصّامت رضي الله عنه أنّه قال : (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فـي منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثـرة علينـا وألاّ ننـازع الأمـر أهلـه إلاّ أن تروكفـرا بواحـا عندكم من الله فيه برهان) [متفق عليه].

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني عليه رحمة الله : (وإذا وقع من السّلطان الكفر الصّـريح فلا تجوز طاعته في ذلك بل تجب مجاهدته لمن قدر عليه كما في الحديث..."يعنـي حـديث عبـادة الآنف الذكر) [فتح الباري صلى الله عليه وسلم 13/7]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عليه رحمة الله لمّا سُئل عن قتال التتار : (كلّ طائفة ممتنعة عن التزام شرائع الإسلام الظاهرة من هؤلاء القوم أوغيرهم فإنّه يجب قتالهم حتّى يلتزموا شرائعه كما قاتل أبوبكر والصّحابة رضي الله عنهم مانعي الزّكاة وعلى هذا اتّفق الفقهاء بعده) ... قال : (فأيّما طائفة امتنعت عن بعض الصّلوات المفروضات أوالصّيام أوالحجّ أوإلتزام جهاد الكفّار أوغير ذلك من التزام واجبات الدّين ومحرّماته التي لا عذر لأحد في جحودها أوتركها والتي يُكفّر الواحد بجحودها فإنّ الطّائفة الممتنعة تُقاتل عليها وإن كانت مقرّة بها وهذا ممّا لا أعلم فيه خلافا بين العلماء قال :"وهؤلاء عند المحقّقين ليسوا بمنزلة البغاة بل هم خارجون عن الإسلام) [فتح المجيد صلى الله عليه وسلم ص:96].

وقال أيضا عليه رحمة الله : (والصّديق وسائر الصّحابة بدأوا جهاد المرتدين قبل جهاد الكفّار من أهل الكتاب فإنّ جهاد هؤلاء حفظ لما فُتح من بلاد المسلمين وأن يدخل فيه من أراد الخروج عنه وجهاد من لم يقاتلنا من المشركين وأهل الكتاب من زيادة إظهار الدّين وحفظ رأس المال مقدّم على الربح) [مجموع الفتاوى 35 قتال أهل البغي صلى الله عليه وسلم 158-159].

وقال في موضع آخر : (وهؤلاء المرتدين أعظم جرما عند الله ورسوله وعند المؤمنين من الكافر الأصلي من وجوه كثيرة فإنّ هؤلاء يجب قتالهم حتما ما لم يرجعوا إلى ما خرجوا عنه ولا يجوز أن يُعقد لهم ذمّة ولا أمان ولا يُطلق أسيرهم ولا يفادى بمال ولا رجال ولا تُؤكل ذبائحهم ولا تُنكح نسائهم ولا يسترقّون مع بقائهم على الردّة بالإتفاق ويقتل من قاتل منهم ومن لم يقاتل ،كالشّيخ الهرم والأعمى والزمن باتّفاق العلماء وكذلك نساؤهم عند الجمهور ... فالكافر المرتد أسوأ حالا في الدّين والدّنيا من الكافر المستمر على كفره) إهـ .

ذكر الدّكتور صلاح الصاوي في كتابه " جماعة المسلمين " عندما تكلّم عن شغور الزّمان عن الإمام ، قال : (والمقصود به إنعدام الحكومة الشّرعية التي تحمل الكافة على مقتضى النّظر الشّرعي في عصر من العصور أو في جزء من أرض الإسلام ...) .

ثمّ ذكر أنّه يتخذ في واقع العمل إحدى الصورتين :

I- إنعدامها حسا كما لومات الإمام أوعُزل لسبب يقتضيه ولـم يعقـد أهـل الإختيـار البيعة لغيره وبقى النّاس من بعده أوزاعا متفرقين لا يجمعهم ضـابط ولا يربـط شـتات رأيهم رابط .

II- إنعدامها شرعا كما لوارتدّ الإمـام عـن الإسـلام أوبـدّل الشّـرائع أوغيّـر الأحكـام فسقطت بذلك بيعته وانحلّت عقـدة إمـامته وإن بقـي فـي موضـعه قابضـا علـى أزمّـة الأمور .

وذلك لأنّ الحاكم يستمد شرعيته من أمرين :

من بيعة الأمّة له ومن تحكيمه لشريعة الله وإقامته في الأمّة كتاب الله ، وإذا كان أهل السـنّة قد تجاوزوا أمر البيعة في حالة الضرورة وأقرّوا بولاية المتغلّب حقنا للدّماء وجمعا للكلمة فقد انعقد إجماعهم على أنّ من لم يقم في الأمّة كتاب الله فلا شرعية لحكمه ولا انعقاد لـبيعته ولا نفوذ لولايته لأنّ تفرّق الأمّة على الحقّ أولى من اجتماعهـا علـى الباطـل [الضـوابط الشّـرعيّة لتحقيق الأخوة الإيمانية والوحدة الإسلاميّة ص:32 سعيد عبد العظيم].

قال ابن حجر نقلا عن ابن التّين : (وقد أجمعوا أنّ الخليفة إذا دعا إلى كفـر أوبدعـة أنّـه يُقـام عليه ، واختلفوا إذا غصب الأموال وسـفك الـدّماء وانتهـك الحرمـات هـل يُقـام عليـه) [الفتـح 13/105].

وهذا دليل صـريح فـي أنّ الشّـرك وفسـاد الـدّين أخطـر وأشـدّ مـن سـفك الـدّماء ، فالسّـيف هوالفاصل بيننا وبينهم حتّى يعود شرع الله هومصدر الحكم وكلمة الله هي العليا وكلمة الـذين كفروا هي السّفلى .

فاعلم أيّها العاقل أنّ هذه الدّيار قد تجلّى فيها الكفر واستبان لكل ذي لبِ وجنان واتضح طريق الظلم والطّغيان لأنه سبيل كلّ شيطان معاد لشرع الله وسنّة نبيّه المصطفى العدنان ، فقد حملت عصبة الإسلام اليوم راية الجهاد وعاهدت ربّها على المضيّ قُدما حتّى يصير أمرها إلى إحدى الحسنيين عاهدت ربّها أنّها لا تهن ولا تحزن لما يصيبها في هذا الطّريق وأن لا تيأس من روح الله وأن لا تقنط من أمر الله فهي تعلم أنّ الطّريق شاقٌّ وطويل بعيد المراحل كثير العقبات ولكنّه موصل بإذن الله إلى أنوار العدل والإسلام قاض على جذور
الظلم وصعاليك الباطل والأوهام.

وقد قال صلى الله عليه وسلم : (أنتم اليوم على بينة من أمركم تأمرون بالمعروف وتنهون على المنكر وتجاهدون في سبيل الله ثمّ تظهر فيكم السّكرتان،سكرة الجهل وحبّ العيش فلا تأمرون بمعروف ولاتنهون عن منكر ولا تجاهدون في سبيل الله القائمون منكم يومئذ بالكتاب والسنّة لهم أجر خمسين صديقا، قالوا يا رسول الله منّا أومنهم قال : لا بل منكم) [عن أنس رضي الله عنه رواه أبونعيم صلى الله عليه وسلم 8/48، وهو صحيح -درء الإرتياب عن حديث ما أن عليه والأصحاب- لسليم الهلالي].

جعلنا الله من هذه الطّائفة التي يُعزّ بها أمر الدّين وُيحي بها سنّة إمام المتقين.

وليعلم الدّاني والقاصي أنّ الجهاد ماض لا يلتفت إلى المرتدين والقاعدين ، " والجهاد ماض قائم مع الأئمة الأبرار والفجّار مذ بُعث النبيصلى الله عليه وسلم إلى أن يُقاتل آخر هذه الأمّة الدّجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل " [قطف الثمر ص 133 لصديق حسان خان].

كلمة حول الوئام المزعوم

إنّ الطّاغوت اليوم قد فتح الأبواب قصد اللّعب على العواطف واستمالة القلوب وبعد أن عجـز عن استئصال عصـبة الإسـلام بالحديـد والنّـار خلال كـلّ هـذه السّـنين الماضـية ، فـراح يُغـازل المجاهدين ويبين لهم أنّه قد عفا عنهم وصفح إن هم عادوا إليـه منيـبين ورجعـوا إلـى أحضـانه مستغفرين معترفين بذنبهم العظيم .

وهذا حال كلّ فئة سلكت صراط الله المسـتقيم وأعلنـت عـداوتها لأعـدائه الكـافرين ، وكـانت هذه سنّة الأنبياء المرسلين مع قومهم الكافرين على مرّ العصور { وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنّكم من أرضنا أولتعودن في ملتنا فـأوحى إليهـم ربهـم لنهلكّـن الظـالمين * ولنسـكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد } [سورة إبراهيم 13-14].

وقد قال صلى الله عليه وسلم مبينا لأمّته كيف يكون الحبّ والبغض ولمن يكون ، فقال صلى الله عليه وسلم : (ثلاثا من كنّا فيه وجد بهنّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحـبّ إليـه ممّا سواهما وأن يحبّ المرء لا يحبّه إلاّ لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه اللـه منـه كما يكره أن يُقذف في النّـار) [رواه البخـاري 16 ومسـلم 43 والتّرمـذي 3634 وابـن مـاجه 4033وأحمد 3/104].

فالمؤمن الكامل الإيمان يحَبّ من كلّ وجه والكافر يُبغـض مـن كـلّ وجـه والفاسـق والعاصـي الذي عنده أصل الإيمان يحَبّ لإيمانه ويُبغض لفسقه ومعصيته .

ولكن أعداء لله يمكرون ويكيدون وما دعوتهم هذه إلاّ لغرض هـدم العقيـدة ، قـال تعـالى { يـا أيّها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إنّ الله كان عليما حكيما } [الأحزاب 1] .

قال ابن كثير : (هذا تنبيه بالأعلى على الأدنى فإنّه تعالى إذا كان يأمر عبده ورسوله بهذا فلأن

يأمر من دونه بذلك بطريق الأولى والأحرى) .إهـ

وقال تعالى مخاطبا نبيّه صلى الله عليه وسلم والخطاب لأمّته { ولا تطع منهم آثما أوكفورا } [الإنسان 24، الآثم هوالفاجر في أفعاله ، الكفور هوالكافر قلبه] ، وهكذا فلا بدّ أن يقف أصحاب الدّعوة إلى الله موقف المفاصلة الكاملة مع هؤلاء الطّواغيت ، ويوم تتم هذه المفاصلة يتحقق وعد الله بالنّصر لأوليائه والتّدمير على أعدائه ففي تاريخ الدّعوة إلى الله على مدار التّاريخ لم يفصل الله بين أوليائه وأعدائه إلاّ بعد أن فاصل أولياؤه أعداءه على أساس العقيدة فاختاروا الله وحده .

حقيقة الهدنة

لقد كان الصّحابة رضي الله عنهم والسلف من بعدهم على الرغم من غزارة علمهم ورفعة درجة فهمهم يدعون إلى الإتّباع وينهون عن الإبتداع ، لا يقيسون الأمور برأيهم ولا يخوضون في كتاب الله بأهوائهم { أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده } [الأنعام 90].

قال بن مسعود رضي الله عنه : (ليس عام إلاّ والذي بعده شرّ منه لا أقول عام أمطر من عام ولا عام أخصب من عام ولا أمير خير من أمير ولكن ذهاب خياركم وعلمائكم ثمّ يحدث قوم يقيسون الأمور برأيهم فيصدم الإسلام ويثلم) [الإعتصام ص:464].

فقد قام دعاة الذلّة والصّغار من الجزأرة وأهل الأهواء بعقد هذه السّلم المخزية مع الطاغوت على أرض الجزائر الطّيبة ، وباعوا جهادهم بثمن بخس واتّبعوا غير سبيل الأوّلين إتّبعوا أهواءهم فضلّوا وأضلّوا وزيّن لهم الشّيطان أعمالهم فصدّهم عن السّبيل فهم لا يهتدون.

وحقيقة هذه الهدنة مؤامرة قام بها الطاغوت قصد ضرب الجهاد والقضاء عليه من الجذور بعدما فشل في كلّ المحاولات التي سبقت هذه الخدعة...فجرف سيلها أناسا سكنت الدنيا قلوبهم وملكت حياة القصور عقولهم فانساقوا وراء شهواتهم ورجعوا إلى زوجاتهم ...والسّلام عليك أيها الجهاد !هكذا قالوها بلسان الحال أوبلسان المقال .

وقد أقرّ الصدّيق رضي الله عنه وأجمع الصّحابة كلّهم على أنّ المرتدّ لا يقبل منه إلاّ حربا مجلية أوسلم ا مخزية...وكلام العلماء كثير في هذا المجال... إلاّ من طمس الله بصيرته وأعماه عن هذه النّصوص.

فقد قال ابن تيمية عليه رحمة الله : (فإنّ هؤلاء المرتدين يجب قتالهم حتما ما لم يرجعوا إلى ما خرجوا عنه، لا يجور أن يعقد لهم ذمّة ولا هدنة ولا أمان ... والكافر الأصليّ يجوز أن يعقد له أمان وهدنة) [مجموع الفتاوى صلى الله عليه وسلم 28/114].

قال الماوردي : (لا يجور إقرار المرتدّ على ردّته بجزية ولا عهد) [الأحكام السطانية ص:17 ولمزيد من التّفصيل أنظر رسالة ضياء الصّبح في الردّ على دعاة الهدنة والصّلح].

قال بن رجب عليه رحمة الله : (من خالف أمري من أجل الشّبهات وهم أهل الأهواء والبدع فكلّهم لهم نصيب من الذلّة والصّغار بحسب مخالفتهم لأوامره قال تعالى : { إنّ الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربّهم في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين } ، وقال تعالى : { فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أويصيبهم عذاب أليم } ، قال سفيان : " الفتنة أن يطبع على قلوبهم " فلهذا تغلّظت عقوبة المبتدعة على عقوبة العاصي لأنّ المبتدع مفتر على الله مخالف لأمر رسوله لأجل هواه) [الحكم الجديرة بالإذاعة 39-40 ، نقلا عن " ما أنا عليه وأصحابي "ص:43].

وإلى هؤلاء المبتدعة نسوق لهم هذه العبارة للأستاذ سيّد قطب رحمه الله حتى نبين لهم أنّ الطريق الموصل إلى برّ الأمان طريق واحد وأنّ سبيل النّجاة والخلاص واحد وهوالذي كان عليه صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فافهموا هذا إن كانت عقولكم لا تزال بخير ، يقول السيّد قطب رحمه الله [في ظلال القرآن: 4\2034] : { قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتّبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين } [سورة يوسف 108] : (لا ظاهر الشّرك ولا خافية هذه طريقي فمن شاء فليتابع ومن شاء فأنا سائر في طريقي المستقيم ، وأصحاب الدعوة إلى الله لا بدّ لهم من هذا التّمييز لابدّ لهم أن يعلنوا أنّهم أمّة وحدهم يفترقون عمّن لا يعتقد عقيدتهم ولا يسلك مسلكهم ولا يدين لقيادتهم ويتميّزون ولا يختلطون ولا يكفي أن يدعوأصحاب هذا الدّين إلى دينهم وهم متميّعون في المجتمع الجاهلي، فهذه الدعوة لا تؤدّي شيئا ذا قيمة .
إنهم لا بدّ لهم منذ اليوم الأوّل أن يعلنوا أنهم شئ آخر غير الجاهليّة وأنهم يتميّزون بتجمّع خاصّ آصرته العقيدة المتميّزة وعنوانه القيادة الإسلامية لابدّ لهم أن يميّزوا أنفسهم من المجتمع الجاهليّ وأن يميّزوا قيادتهم من قيادة المجتمع الجاهليّ أيضا ، إنّ اندفاعهم وتميّعهم في المجتمع الجاهليّ وبقاءهم في ظلّ القيادة الجاهلية يذهب بكلّ السلطان الذي تحمله عقيدتهم وبكلّ الأثر الذي يمكن أن تنشئه دعوتهم وبكلّ الجاذبيّة التي يمكن أن تكون للدّعوة الجديدة .
وهذه الحقيقة لم يكن مجالها فقط هوالدّعوة النّبوية في أوساط المشركين، إنّ مجالها هومجال هذه الدّعوة كلّما عادت الجاهليّة فغلبت على حياة النّاس وجاهليّة القرن العشرين لا تختلف في مقوّماتها الأصليّة وفي ملامحها المميّزة عن كلّ جاهليّة أخرى واجهتها الدّعوة الإسلامية على مدار التاريخ.

والذين يظنون أنهم يصلون إلى شيء عن طريق التّميّع في المجتمع الجاهليّ والأوضاع الجاهليّة والتدسّس الناعم من خلال تلك المجتمعات ومن خلال هذه الأوضاع بالدّعوة إلى الإسلام ، هؤلاء لا يدركون طبيعة هذه العقيدة ولا كيف ينبغي أن تطرق القلوب إنّ أصحاب المذاهب الإلحادية أنفسهم يكشفون عن عنوانهم وواجهتهم ،أفلا يعلن أصحاب الدّعوة الإسلامية عن عنوانهم الخاصّ؟!وطريقهم الخاصّ ؟! وسبيلهم التي تفترق تماما عن سبيل الجاهليّة ؟!) ا.هـ [هذه الفقرة من كلام سيّد قطب رحمه الله أوردها صاحب كتاب "فضل الغنيّ الحميد في التعليق على كتاب التوحيد" ص 129 ، وقال عند لفظ "جاهلية" ما نصّه : لفظ الجاهلية كثيرا جدّا ما يستعمله المؤّلف وهو مرادف عنده في معظم المواطن لمعنى الكفر والشّرك، وهذا بلا شكّ ممّا يحتاج إلى تنبيه فإنّ لفظ الجاهلية قد ورد في الكتاب والسنّة لبيان ما كان عليه أهل الكفر والشّرك من الجهل والضلاّل وكثيرا ما استعمله الصحّابة في وصف مرحلة زمنيّة في حياتهم قبل إسلامهم وهوعلى هذا يشمل ما كان كفرا وما كان

معصية، وما نقلناه هنا عن الأستاذ سيّد قطب قصدنا منه إثبات بطلان المداهنة في أمور الدّعوة ووسائلها ووجوب تميّز الدّعاة في سلوكهم ومنهجهم عن أهل الباطل كلّهم من أهل الشّرك والنّفاق أومن أهل البدع والضّلال ولا يلزم منه الحكم بالتّكفير أوالشّرك الأكبر على كلّ ما وصف بأنّه جاهليّ].

قال ياسر برهامي : (فنقول لهؤلاء الواهمين :إنّ مشروعيّة الوسيلة كمشروعيّة الغاية ، سواء بسواء في المنهج الربّاني ، قال الله عزّ وجلّ لنبيّه صلى الله عليه وسلم مبيّنا له : { اتّق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين } [الأحزاب] ، وقال تعالى : { واتّبع ما يوحى إليك من ربّك إنّ الله كان بما تعملون خبيرا } [الأحزاب] ، فاتّباع الوحي لا اتّباع الهوى وأهواء أهل الزّيغ والضّلال ،حين يأخذون النّاس معهم تارة يمينا وتارة شمالا ، وتارة شرقا وتارة غربا ، وتارة إشتراكية وأخرى ديمقراطية ، أفنسير معهم في كلّ مرة ، قال تعالى : { وتوكّل على الله وكفى بالله وكيلا } [الأحزاب] ، فلسنا بالأسباب ننتصر ولا بالقوّة والعدد والعتاد وإن كان الواجب إعداد ما استطعنا منها طالما كان سببا مشروعا وإنّما ننتصر بالتوكّل على الله في دفع أذاهم وردّ فتنتهم وهوحسبنا ونعم الوكيل) [فضل الغني الحميد تعليقات مهمّة على كتاب التّوحيد ص 130].

ألا فليعلم هؤلاء الحمقى أنّ الخير كلّ الخير في سلوك نهج سلفنا الصالح رضوان الله عليهم وفي اقتفاء أثرهم وتتبّع منهجهم في فهم كلّ صغير وكبير من أمور الدّين ...

فالخير كلّ الخير في اتّباع من سلف والشّر كلّ الشّر في ابتداع من خلف

إنّهم لا يزدادون بعلمهم هذا إلاّ ذلّة وصغارا ، وأيّ خير فيمن داهن طاغوتا رافضا لأحكام الله عزّ وجلّ ونصب العداوة للمجاهدين، بل أيّ خير فيمن أعان الطّاغوت على المجاهدين وتسبّب في كشف مراكزهم وقتل أفرادهم ، وأيّ مصلحة يحقّقها هؤلاء سوى مصلحة القضاء على

الجهاد ! أفلا يعقلون ؟!.

لقد أصبحوا وسيلة في يد الطّاغوت رهن إشارته وطـوع أمـره يـوجّههم كيـف يشـاء وتخـدمهم متى شاء ، فالله المسؤول أن يكفينا شرّهم : { فليحذر الذين يخالفون عـن أمـره أن تصـيبهم فتنة أويصيبهم عذاب أليم } [سورة النّور 63].

خـاتـمـة

أخي المجاهد :

إعلم أنّ الموت كرامة لكلّ مسلم لقي الله على السنّة .
واعلم أنّ اقتصادا في سبيل الله وسنّة خير من اجتهاد في خلاف سبيل الله وسنّة .
واحذر أن تكون من الذين اتّبعوا أهواءهم ونبذوا سنّة نبيّهم صلى الله عليه وسلم .
واحرص كي يكون عملك كلّه على منهج الأنبياء وسنّتهم .

فقد خرّج ابن وضّاح في كتاب القطعان من حديث الأوزاعي أنّه بلغـه عـن الحسـن أنّـه قـال : (لن يزال لله نصحاء في الأرض من عباده يعرضون أعمال العباد على كتـاب اللـه إذا وافقـوه حمدوا الله وإذا خالفوه عرّفوا بكتاب الله ضلالة من ضلّ وهدي من اهتدى فأولئك خلفاء الله) [الإعتصام ص 36].

فإذا كان جهادك وعملك على منهج الأنبياء وسنّتهم فاحرص بعد ذلك أن يكون عملك خالصا لله وحده وجهادك في سبيل الله غايته إرضـاء الرّحمـان وتحكيـم شـريعة الواحـد المـدّيان ، واعلـم حينها أنّ الله لن يتخلى عنك وسيكون معك بالتّوفيق والنّصر والهداية إلى سواء السبيل ، قـال تعالى : { والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا } [العنكبوت 69].

وسبيل الله الذي دعا إليه ويهدي إليه من جاهد في سبيله هو الصّـراط المسـتقيم وهوالسـنّة ، قال تعالى : { وأنّ هذا صراطي مستقيما فـاتبعوه ولا تتبعـوا السـبل فتقـرق بكـم عـن سـبيله ذالكم وصّاكم به لعلّكم تتقون } [الأنعام 153] ، فالسبل التي حذّرنا منها الله عزّ وجـلّ ونهانـا عن اتباعها في هذه الآية هي سبل أهل الإختلاف الحائدين عن الصّراط المستقيم ، وهـم أهـل البدع ، وليس المراد بها سبل المعاصي لأنّ المعاصي من حيـث هـي معاصـي لـم يضـعها أحـد طريقا تسلك .

وعليك بالعلم فبه يعصمك الله من الزّيغ والإنحراف عن جادة الطّريـق وبـه تعـرف الحـق مـن الباطل ويتضّح لديك سبيل المؤمنين ، قال ابن الجوزي عليه رحمة الله : (ابتعث الله سـبحانه وتعالى محمّدا صلى الله عليه وسلم فرفع المقابح وشرع المصالح فسار أصحابه معـه وبعـده في ضوء نوره سالمين من العدووغروره ، فلمّا انسلخ نهار وجـودهم أقبلـت أغبـاش الظلمـات فعادت الأهواء تُنشئ بدعا وتضيّق سبلا ما زال متسعا ، ففرّق الأكـثرون دينهـم وكـانوا شـيعا ، ونهض إبليس يُلبّس ويُزخرف ويُفرّق ويؤلّف ، وإنّما يصلح له التلصّص فـي ليـل الجهـل فلوقـد طلع عليه صبح العلم افتضح).

واحرص أن تكون مع الجماعة فإنّ يد الله مع الجماعة ، والجماعـة رحمـة وصـيب نـافع ، قـال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه : (عليكم بالسّمع والطّاعة فإنّها حبل الله الـذي أمـر بـه ، ثمّ قبض يده ، وقال : إنّ التي تكرهون في الجماعة خير من الذي تحبّون في الفرقة) .

واعمل على بصيرة ونيّة حسنّة فيردّ الله بك المبتدع والمفتون الزّائغ الجائر فتكـون خلفـا مـن نبيّك صلى الله عليه وسلم ، فأحيي كتاب الله وسنّة نبيّه فإنّك لـن تلقـى اللـه بعمـل يشـبهه) [الإعتصام ص 25].

ولله درّ ابن القيّم حين قال :

يا أيّهـا الرّجـل المريـد نجاتـه	إسمع مقـالة ناصح معوان
كن في أمورك كلّها متمسكــا	بالوحي لا بزخارف الهذيان
وانصر كتاب الله والسّنن الـتي	جاءت على المبعوث بالفرقان
واضرب بسيف الوحي كلّ معطّل	ضرب المجاهد فوق كل بنان
واصدع بما قال الرّسول ولا تخف	من قلّة الأنصار والأعـوان

وصلّ اللهم على محمّد وعلى آله صحبه وسلم

تمّت بحمد الله
يوم الثلاثاء 13 رمضان 1420 هـ
الموافق لـ 21 ديسمبر 1999 م
على السّاعة الواحدة وخمس وعشرين دقيقة

من إصدارات الجماعة

- مالك بن نبي في الميزان/ الشيخ أبوالهيثم / الدار الأثرية للطباعة / 1419هـ
- مراقي العلوفي تفسير لا تنازعو فتفشلوا / الشيخ أبواليقظان عضو الهيئة الشرعية للمنطقة الثانية / 1419هـ
- التعقيب الحسن على أجوبة علي بن حسن / الشيخ أبواليقظان / 1419هـ
- ضياء الصبح في الرد على دعاة الهدنة والصلح / 1419هـ

تم تـنـزيل هذا المادة من
منبر التوحيد والجهاد
http://www.tawhed.ws
http://www.almaqdese.com
http://www.alsunnah.info